﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٤٥﴾ [القصص: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرّبط بين نفي حضور النّبيّ الخاتم لوحي الله لموسى، ولأهل مدين ومَن قبلَهم

لمّا نفتِ الآيةُ السّابقة حضورَ النّبيِّ ﷺ في المكان الغربيِّ من الجبل، حيثُ كلَّم اللّهُ تعالى موسى عليه السلام، وعَهِدَ إليه بأمر الرّسالة؛ ذكر هنا نفيَ إمكانٍ آخرَ من إمكانات معرفة النَّبي ﷺ بخبر موسى وشعيبٍ عليهما السلام، فقال له: وما كنتَ مُقيمًا في مدين حتَّى تعلمَ قصَّة موسى وشعيب وما كان فيهما من أحداث، لكنَّ عِلْمَكَ بهذه الإخبار وحيٌ منّا، ولولا ذلك ما علمتَها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَطَاوَلَ﴾: (طول) أصْل صَحيح يدلُّ على فضل وامْتداد في الشّيء، مِنْ ذَلِكَ: طالَ الشَّيْءُ يَطولُ طولًا[2]، وطالَ الشّيءُ، أي: امتدَّ، وكلُّ ما امتدَّ مِنْ زَمَن فَقَدْ طالَ[3]، والمُطاولةُ في الأمْر هي التَّطْويل، والتَّطاوُلُ قد يستعمل في معنى الاستطالة على النّاس[4]، وهو غير مراد في الآية، والتّطاول في القيام أن يرفَعُ رأسَهُ ويَمُدُّ قَوامَهُ للنَّظَر إلى الشَّيء[5]. فمعنى الامتدادِ هو المقصودُ في الآية، ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ أي: امتدّ.

2) ﴿ٱلۡعُمُرُۚ﴾: (عمر) أصْلانِ صَحيحانِ؛ أحَدُهُما: يدلُّ على بَقاءٍ وامْتِدادِ زَمانٍ، والآخَرُ: على شَيْءٍ يَعْلو، مِنْ صَوْتٍ أوْ غَيْرِهِ.

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 203.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طول).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (طول).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طول).
(5) الخليل، العين: (طول).

فالأوَّلُ العُمْرُ، وهو اسم لمُدّة عمارةِ البَدن بالحياة[1]، وهو المراد في الآية. والعَمْرُ: بفتح العين: ضربٌ منَ النَّخْلِ وهو السَّحوقُ الطّويلُ[2]، فالطّول مَرعيٌّ في اللّفظين: العُمُر والعَمْر.

3) ﴿ثَاوِيَا﴾: (ثوى) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ صَحيحَةٌ تَدُلُّ على الإقامَةِ. يُقالُ: ثَوَى يَثْوِي فَهوَ ثاوٍ[3]، ومصدرُ الفعل الثَّواءُ، وهو: طولُ المُقام مع الاستقرار، يقال: ثَوَى يَثْوِي ثواءً[4]، وسمع من (ثوى) (أثوى)، يقال: أثْوَى به: أطالَ الإقامَةَ به[5]. وهذا هو المراد منَ اللّفظة في هذا السّياق.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إخبار النّبيّ الأُمّيّ بقصص القرون الغابرة، دليلٌ على أنّه أوحيَ إليه بها

بعد نفي حضورِ النّبيِّ ﷺ لمشهد موسى عليه السلام، وتأكيدِ عدمِ عِلْمِه به حضورًا، قال الله تعالى له في هذه الآية: ولكنّا أوحيناه إليك وأعلمناكَ بخبره ليكون معجزةً لك، وشاهدَ صدقٍ على نبوَّتك. وكانتِ الحاجةُ القصوى داعيةً إلى ذلك؛ حيثُ طال العهدُ وتطاولَ على النّاس العُمُر، فَنَسوا ذِكْر اللهِ وقَسَت قلوبُهم، فأرسلناكَ يا محمّد مُجَدّدًا العهدَ الإلهيَّ، وداعيًا إلى الله بإذنه[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾:

الجمع بينَ الحُكم وسببه منَ البيان المفيد

الواو في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ عاطفةٌ؛ حيثُ عُطِفَتْ هذه الجملةُ على قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾، ووجهُ وصلِ هذه الجملةِ بما قبلَها ظاهر؛ للدّلالة على عدم رؤيته ﷺ، ولا مشاهدته لما كان بين موسى وربّه، كما لم يُخْبَر بالأجيال الّتي طال عليها الزّمنُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عمر).
(2) الخليل، العين: (عمر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ثوى).
(4) الخليل، العين: (ثوى).
(5) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (ثوى).
(6) حجازيّ، التّفسير الواضح: 20/ 50.

فَنَسوا ما أخذه عليهم منَ العهود، ولا بأهل مدين وما وقع من قصّة موسى وشُعيب ﷺ، إلّا أنّه أُخْبِرَ عن تلك المغيّبات بالوحي الَّذي نزل عليه بعد قرون منصرمة بينَه وبينَ زمان تلك الأحداث، وقد جاء النّبيُّ في آخِر الزّمان، بعد أن اندرست معالمُ الشّريعة، وعُمّيت على النّاس الأنباءُ، فأوحى اللّهُ إليه ليُجَدِّدَ للنّاس أمرَ الدّين، ويخبرَهم بما لم يكونوا يعلمون من قصص الأنبياء وأقوامهم بدقَّةٍ وحَقّ.

بلاغة الاستدراك في السّياق:

تَظْهَر بلاغةُ الاستدراك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ في أنَّها ذكرتَ سببَ الوحي، والمعنى: ولكنّا أوحيناه إليك لأنّا أنشأنا قرونًا مختلفةً بعد موسى ﷺ، فالآية لم تذكر وحيَ اللّه إلى نبيِّه مباشرةً، وإنَّما ذكرت سببَ هذا الوحي، وهو إطالةُ الفترة[1]، وإنشاءُ القرونِ وتطاولُ عمرِهم وأمَدِهم، فانمحت معالمُ الدّين، الأمرُ الَّذي جعلَ النّاسَ في حاجة إلى وحيٍ سماويٍّ يهديهم ويُبَصِّرُهُم، وبذلك يظهر وجهُ اتِّصالِ هذا الاستدراكِ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾ بما قبلَه.

توالي القرون وانطماسُ أثرِ الوحي، موجبٌ لإرسال النّبيّ الخاتم

سِرُّ اختيارِ لفظِ ﴿أَنشَأْنَا﴾ دونَ (خلقنا):

آثرَ النَّظمُ القرآنيّ لفظَ (الإنشاء)، في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ دون (خلقنا)؛ لوجود فرق بينهما، فالإنشاءُ يختلف عنِ الخَلْق، في أنَّه يتعلّق بإيجاد الشّيء وتربيته، وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان، فهو على هذا إيجادٌ مع رعاية وتفضُّل؛ لهذا كان التَّعبير القرآنيُّ ﴿أَنشَأْنَا﴾ لدلالته على أنَّ اللّه أحدث تلك الأجيالَ، وأوجد تلك القرونَ إيجادًا مشمولًا بتربية اللّه لهم[2]، وعظيم تفضُّله عليهم، ومن عظيم هذا الفضل كذلك مجيءُ رسولٍ في آخر الزَّمان، يُحْيي المعالمَ المفقودة، ويُنَمّي القيمَ الموجودة.

الإنشاء إحداثٌ وإيجادٌ وتفضّل على البشر

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 182.
(2) الرّاغب، المفردات: (نشأ).

دلالة إسناد الفعل الى ضمير العظَمة:

عظَمةُ الإنشاء منوطة بعظَمة منشئ الأرض والسّماء

أسنَد النَّظمُ الكريم الفعلَ ﴿أَنشَأْنَا﴾ إلى اللّه ﷻ؛ تعظيمًا لهذا الإنشاء الَّذي يتضمّن معنى الخَلْق والتَّربية، فإنَّ خلق القرون الكثيرة وتربيتَها ورعايتَها لا يَقْدِر عليه إلّا اللّهُ ﷻ.

سِرّ اختيارِ لفظ ﴿قُرُونًا﴾:

القرون دالّة على جماعة النّاس الّذين جمعهم زمنٌ واحد

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ ﴿قُرُونًا﴾ دون (الخَلْق) أو (النّاس)؛ لأنَّ القرن من معانيه الزّمان، والإنشاء واقع على النّاس في هذا الزّمان، فيكون الكلام على حذف مضاف تقديره: (ولكنّا أنشأنا أهل قرون)، والمراد بهم الخَلْق أو النّاس، وفي هذا إيجاز. وفي التَّعبير به كذلك إشارةٌ إلى أنَّ الإنشاء واقع على القرون، بما يحتويه هذا اللّفظ من الزّمان ومن يعيشون فيه؛ لأنَّه لا يُتَصوَّر عيشُ النّاس من غير إنشاء الزّمان والمكان لهم؛ فكأنَّ التَّعبير بالقرون يحمل هذا المعنى الكلّيَّ.

وممّا يُذكَر في سِرِّ اختيار النَّظم لفظَ ﴿قُرُونًا﴾ دونَ الزَّمان أو الدَّهر تَمَيُّزُه بمعنًى لا يوجد فيهما، وهو أنَّ القرون تُطْلَق على جماعة الأقوام المقترنين في زمن واحد[1]، فالتَّعبير به راعى الأجيال المتوالية منَ النّاس في نشأتهم وتربيتهم، لذلك عاد الضّمير للعقلاء ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾، ولو راعى المُدَّة الزَّمانيَّة لعاد الضَّمير على غير العقلاء، وقال: (فتطاول عليها)، فالنّاس هم المقصودون وليست المدَّة الزَّمانيَّة وحدها. أمّا ألفاظ الزّمان والدّهر وغيرُهما فليس في معانيهما اللّغويّة ما يدلُّ على معنى الاقتران المفهوم من لفظ (القرون).

لا يتأتّى الإخبار مع بُعْدِ الزّمن بينَ الرّسولين إلّا بالوحي

سِرّ تنكير لفظ ﴿قُرُونًا﴾:

دلَّ التَّنكيرُ في لفظ ﴿قُرُونًا﴾ على كثرتها بينَ الرّسولين الكريمين؛

(1) الرّاغب، المفردات: (قرن).

سيِّدنا موسى عليه السلام وسيِّدنا محمَّد ﷺ. وفيه إشارةٌ إلى صدق النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ الإخبار عن تلك الأُمم على كثرتها وبُعْدِ الزَّمن بينَ المُخْبِرِ وبينَ المُخْبَر عنه، لا يكون إلّا بوحي صادق.

نُكْتَةُ التَّعبير بالفعل ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ دون (طال):

الزّيادة في المبنى تدلّ على الزّيادة في المعنى

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ دون (طال)، مع أنَّ أصله (طال)، بمعنى: امتدّ[1]؛ لأنَّه يدلُّ على المبالغة في طول الزَّمن وامتدادِه، أخذًا من القاعدة الغالبة: كثرة المبنى تدلُّ على زيادة في المعنى؛ فالتَّعبير بالفعل ﴿فَتَطَاوَلَ﴾ في هذا السّياق يدلُّ على عِظَم الامتداد الزّمنيِّ بين موسى عليه السلام، وبين محمّد ﷺ.

دلالةُ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْهِمُ﴾:

الغرضُ الاهتمام بالمُقدَّم، والتّشويقُ إلى المؤخَّر في السّياق

دلَّ تَقَدُّمُ الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْهِمُ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْعُمُرُ﴾ على أنَّ المقصود بالحديث هم القرون الماضية والأمم السّالفة، فكان تقديمُهم من باب الاهتمام بشأنهم، والاعتناءِ بأمرهم، وفي التَّقديم تشويقٌ إلى المُؤَخَّرِ، وتحفيزٌ للنّفوس إلى ترقُّبه، فإذا ما وقَفَتْ عليه استقرَّ لديها المُدَّة المديدة، والأزمنة العديدة بين موسى عليه السلام وبين سيِّدنا محمَّد صلّى الله عليه سلّم.

بلاغةُ التَّعبير في ﴿فَتَطَاوَلَ﴾:

امتداد الزّمان يستلزم الجفوةَ والتّواكل والنّسيان

التَّعبير بقوله تعالى: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾، كنايةٌ عن النِّسيان، أي: إنَّ تلك الأُممَ الّتي طال امتدادُها بعد موسى عليه السلام، نسوا عهد اللهِ وتركوا أمرَه، وتركوا تعاليمَ موسى عليه السلام، واندرست معالمُ التّوراة لمّا طال عليهم العُمُر، فاقتضتِ الحِكْمة التّشريعَ الجديد، وقَصَّ الأنباءِ على ما هي عليه، فأوحينا إليك وقصصنا الأنباء عليك[2].

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (طول).
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 294.

دلالةُ العطف بالواو في السّياق:

التّأكيد على عدم مشاهدته ﷺ لأخبار السّابقين

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾، ودلالةُ العطف هنا التّأكيد على أنّ النَّبيّ ﷺ، ما شاهد الأقوامَ السّابقة، ولا سيما ما كان بين موسى عليه السلام وربِّه من أمر المناجاة وكتابة التَّوراة، ولا أقام في مدين قوم شعيب عليه السلام، فكونه ﷺ يخبر عن ذلك إخبارَ من عاين وشاهد، فهذا لا يكون إلّا بطريق الوحي، وهذا إثباتٌ لرسالة محمّد ﷺ، وإبطالٌ لزعم المشركين في إنكار نبوَّته.

بلاغةُ تكرار ﴿وَمَا كُنتَ﴾:

زيادة التّأكيد على تحقّق عِلْمِه ﷺ عن طريق الوحي

تكرَّرت صيغة ﴿وَمَا كُنتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعد سبق ذكرها في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾، وفي قوله: ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، والغرض من ذلك: تكرير للدَّليل بمثل آخر ليُؤكِّد نفيَ عِلْمه ﷺ بما كان من أحداث في قصَّة موسى عليه السلام، والمعنى: ما كنت مع موسى في وقت التّكليم، وما كنتَ من الشّاهدين لهذا التّكليم، ولا كنتَ في أهل مدين إذ جاءهم موسى وحدث بينَه وبين شعيب ما قصصنا عليك[1]. فالتّكرارُ جعلَ كلَّ جملةٍ بمثابة دليل مستقلٍّ، يُؤكِّد نبوّة محمّد ﷺ، وينفي كلَّ احتمالٍ من احتمالات معرفته ﷺ بهذه الأخبار غير الوحي من الله تعالى.

سِرُّ التَّعبير بالظّرفية ﴿فِيٓ﴾ دون (مع):

الظّرفيّة أنسب للسّياق، وأبلغ في الدّلالة على المظروف

عُبِّرَ بالظَّرفيَّة في قوله: ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ دونَ التَّعبير بالمعيَّة؛ لأنَّ الظّرفيَّة تختلف دلالتُها في التّمكُّن منَ المظروف عن المعيَّة، فلمّا كان المراد المبالغةَ في نفي إقامة النَّبيّ ﷺ في أهل مدين، ونفي مشاهدته لهم؛ كان التَّعبير بالظّرفية هو الأنسب للسّياق، والمعنى: لم ترهم ولم تشاهدهم، فكيف أخبرتَ عنهم؟ فهذا دليلٌ على أنَّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 131.

علمَ عن طريق الوحي. أمّا المعيَّة فلا تؤدّي هذا المعنى في المبالغة في نفي مقامه ﷺ في أهل مدين، إنّها تعني مجرَّد الحضور دونَ دلالةٍ على تمكّنٍ منَ الإقامة.

سِرُّ التّخصيص بقوله: ﴿أَهْلِ مَدْيَنَ﴾:

خَصَّ التَّعبيرُ القرآنيُّ ﴿أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بالذِّكر دونَ غيرِها من مراحل قصَّة موسى ﷺ، كتربيته عند فرعون وغيرِها من المشاهد؛ لأنَّها تُمثِّل مرحلة أساسيَّةً وفارقةً في حياة موسى ﷺ، فقد خرج موسى خائفًا مترقِّبًا، واتّجه إلى ﴿أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعد فراره من فرعونَ مصر، ووجد الأمن والنَّجاة عند شعيبٍ، العبدِ الصّالح، حيثُ زوَّجه وأكرمه، فَكَثْرةُ ما في هذه المرحلة من تفاصيل جعلتها حقيقةً بالذِّكر؛ لتَدُلَّ على صدق النّبوَّة المُحمَّديَّة؛ إذ لا يعلم هذه التَّفاصيل إلّا مَنْ أوحى إليه ربُّ العالَمين.

بيان أنّ قصّة مَدْيَن ذاتُ مَلْمَح خاصّ في قصّة موسى ﷺ

سِرّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿أَهْلِ﴾ دون (قَوْم):

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ ﴿أَهْلِ﴾ دون (قوم)، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾؛ لأنَّ الأهل أخصُّ من القوم؛ فلفظُ القوم عامٌّ، ولأنَّه يُطلَق في الأصل على جماعة الرّجال دون النّساء، وإن كان ورد استعمالُه للجميع من باب التّغليب، إلّا أنَّ السّياق هنا يقتضي التَّعبيرَ بالأهل، لما له من خصوصيَّة في شؤونهم، قد تكون في بعضها خفيَّة، فإذا أخبر بها رسولُ الله ﷺ، ولم يكن معهم في هذه الأمور الخاصَّة؛ فهذا دليلٌ على أنَّ ذلك بالوحي.

الإخبار بالوحي على ما له من خصوصيّة دليلٌ على صدق المُخبِر

مرجعُ الضّمير في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

الضّمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوز أن يعود إلى أهل مدين، ويكون المعنى: وما كُنْتَ مقيمًا في أهْلِ مدين - وهم شعيب والمؤمنون به - تَتْلوا عليهم آياتِنا وتقرؤها عليهم تَعَلُّمًا منهم، يريد: الآيات الّتي فيها قِصَّةُ شعيبٍ وقومِه[1]، أي: إنَّك لم تتعلَّم من أهل مدين مشافهةً ومعاينةً حتَّى

تنوّع التّقدير مفيدٌ في تعدّد المراد بالضّمير

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 417.

تخبرَ بها مشركي العرب. ويحتمل أن يعود الضّمير في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى مشركي العرب، فيكون المعنى: لم تشهد أهلَ مدين، فتقرأ على أهل مكّة خبرَهم[1]، وهو الّذي يستقيم به نظمُ الكلام، ولو جُعِلَ الضَّميرُ عائدًا إلى أهل مدين لكان [الأولى] أن يقال: تشهد فيهم آياتنا[2].

سِرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

تقدَّم الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على المفعول به ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾؛ للاعتناء بالمُقدَّم والاهتمام به، فالمُتَحَدَّث عنهم هم المقصودون بالحُكم، سواء كانوا أهل مدين، أو مشركي العرب.

التّصرف في ترتيب الجملة غايتُه الاهتمامُ والتّشويق

دلالةُ الإضافة إلى نون العظَمة:

أُضيفت الآياتُ إلى نون العظّمة في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾؛ للدّلالة على عظَمتها، فالمراد بها: آياتنا العظيمة التي منها قصَّةُ موسى وشعيبٍ ﷺ، ولعِظَم هذه الآيات أضافها اللّه ﷻ إلى نفسه؛ لأنَّ كلَّ فعلٍ منَ العظيم عظيمٌ.

لا يضيف اللهُ العظيمُ إلى نفسه إلّا كلَّ عظيم

بلاغة الاستدراك في ﴿وَلَٰكِنَّا﴾:

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾، هذا الاستدراكُ شبيهٌ بالاستدراك السّابق في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾، وبلاغتُه هنا: هو التَّأكيد على نزول الوحي على النَّبيّ ﷺ، لأنَّه أخبرَ عن أمور غيبيّة لم يشاهدها، فلم يكن مُقيمًا في أهل مَدْين حتّى يعلم كلَّ تلك الأخبار، ولكنَّ اللّه ﷻ أرسله وأخبره بها وأعلمه إيّاها[3].

إخبارُ النَّبيِّ المرسل بالآيات، كان عن طريق الوحي

دلالة التَّعبير بالفعل ﴿كُنَّا﴾:

للفعل ﴿كُنَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ دلالةٌ عالية

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 603.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 132.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 182.

في هذا السّياق؛ إذ يَدُلُّ على أنَّ أمرَ إرسالِ الرُّسل - ومنهم النّبيُّ ﷺ - أمرٌ أزليٌّ، وأنَّ من سُنّة الله تعالى في خَلْقه أن يُرسِل إليهم في كلِّ زمن نبيًّا يهديهم إلى الطَّريق المستقيم، خاصَّةً مع اندراس الشَّرائع وطولِ العهد، وذلك من فضل الله تعالى بعباده، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: 44].

إرسالُ رسولِنا ﷺ أمرٌ أزليٌّ قديم، برز في زمانه بتقدير الله الحكيم

دلالة التَّعبير بالاسميّة في ﴿مُرْسِلِينَ﴾:

التَّعبيرُ بالاسميَّة في لفظ ﴿مُرْسِلِينَ﴾، دون الفعليَّة (أرسلنا)، دالٌّ على ثبوت صفة الإرسال لله تعالى، فذلك من سُنّته ﷻ في خلقه، كما تقدّم في دلالة لفظ ﴿كُنَّا﴾، فقد أرسل سبحانه إلى كلّ نَبيٍّ في وقته، ثمَّ أرسل إلى نبيِّنا ﷺ بالوحي وأخبار الأُمم والشَّرائع، وبالأدلّة والبيِّنات لينشرَها في النّاس واضحةَ البيان، سالمةً منَ الإلباس.

إرسالُ الرُّسل من سُنَّة الله في خَلْقه ورحمتِه بهم

دلالةُ حذفِ متعلَّق قوله: ﴿مُرْسِلِينَ﴾:

حُذِفَ متعلَّق لفظ ﴿مُرْسِلِينَ﴾؛ لوضوحه ودلالةِ السّياق عليه، والتّقدير: (مُرسلين إيّاك إلى أهل مكّة)[1]، فَحُذِفَ المتعلَّق للإيجاز، وقصدًا إلى إثبات معنى الإرسال المتحقِّق من جهة الله ﷻ لأنبيائه. وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الإرسال إلى سيِّدنا محمّد ﷺ ليس بِدعًا، وفي الحذف أيضًا مراعاةٌ لفواصل الآيات.

ترتُّبُ الحذفِ لمقتضيات معنويّة، ودواعٍ لفظيّة

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّطاوُلُ والتّمادي:

التَّطاول: فَضْلٌ وامْتِداد في الشَّيْءِ، وطالَ الشّيءُ، أي: امتدَّ، وكلُّ ما امتدَّ فَقَدْ طالَ[2]، والمُطاولةُ في الأمْر هي التَّطْويل[3].

أمّا الفعل (تمادَى): فهو منَ التَّمادي، بمعنى الإلحاح واللّجاجة،

التّطاولُ زيادةٌ وامتداد، والتّمادي لجاجةٌ ودوامٌ وتكرار

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 603.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (طول).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طول).

يقال: تَمادَى فلانٌ في غَيِّه، إذا لَجّ فيهِ وأطال مَدَى غَيِّه أي غايَته[1]. وقد يكون التَّمادي بمعنى الدَّوام والاستمرار، فـ (المُمادِى) الدّائِم والمستمرّ البالِغ الغايَة، يقال: تمادَى على الأمر إذا دامَ واستمرَّ[2]. والتَّمادي يُفيد معنى التَّكرار، يقال: تمادي العُمُر كأنَّه تكرار[3].

الثَّواء والإقامة:

الإقـامـة لُـبْـثٌ وثباتٌ، والثَّواءُ طـــولُ مـقـامٍ واستقرار

الثَّواءُ: طولُ الإقامة، يقال: ثَوَى المكانَ، وبه يَثْوِي ثَواءً وثويًّا، بالضَّم، وأثْوَى به: أطالَ الإقامَةَ به[4]. وقد يكون الثَّواءُ في المكان بمعنى النُّزول به، يقال: ثَوَى: (نَزَلَ) مَعَ الاسْتِقْرار، وبه سُمّي المَنْزِلُ مَثْوًى، وثَوَى: أقامَ في قَبْرِه؛ وأثْوَيْتُه: أضَفْتُه. يقالُ: أنْزَلَني الرَّجُلُ فأثْواني ثَواءً حَسَنًا[5].

أمّا الإقامة: فهو من أقامَ بِالمَكانِ: بِمَعْنَى الثَّباتِ، وأقامَ بِالمَكانِ إقامًا وإقامةً ومُقامًا وقامَةً: لَبِثَ[6]. وبهذا يتَّضح أنَّ الثَّواء يفترق عن الإقامة في معنى طولِ المُقام، ودوامِ الاستقرار، وحُسنِ الاستضافة.

التّلاوة والقراءة:

القـراءةُ أعـمّ، والتّلاوة أخصّ، وكـلاهـمـا لفظ قرآنيّ فصيح

الفرق بين التِّلاوة والقراءة: أنَّ التِّلاوة لا تكون إلّا لكلمتين فصاعدًا، والقراءة تكون للكلمة الواحدة، يقال: قرأ فلانٌ اسمَه، ولا يقال: تلا اسمه، وذلك أنَّ أصل التَّلاوة إتباعُ الشَّيءِ الشَّيءَ، يقال: تلاه إذا تبِعَه، فتكون التِّلاوةُ في الكلمات يتبع بعضُها بعضًا، ولا تكون في الكلمة الواحدة، إذ لا يصِحُّ فيه التُّلُوُّ[7].

والتِّلاوةُ تختصُّ باتِّباع كتبِ الله المُنزّلة، تارةً بالقراءة، وتارةً

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مد).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (مد).
(3) المناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 102.
(4) الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (ثوى).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (ثوى).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (قوم).
(7) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 140.

بالارتسام؛ لما فيها من أمرٍ ونهي، وترغيبٍ وترهيب، أو ما يُتَوَهَّم فيه ذلك، وهي أخصُّ منَ القراءة، فكلُّ تلاوة قراءة، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوة، ويُراد بالتِّلاوة: الاتِّباع له بالعلم والعمل،[1]، وليس في القراءة شيء من ذلك.

(1) الرّاغب، المفردات: (تلى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»